التَّعالقُ النَّصيُّ للقرآنِ الكريمِ والحديثِ النَّبويِّ الشَّريفِ في خطبِ السيِّدةِ زينبِ عليها السلام

أ. د هَادي سَعدُون هنُون العارَضِي
جَامِعَة الكُوفَة / كليَّة التَّربيَة الأَسَاسيَّة

الملخّص:

هذا بحث يفتح الضوء على جزء من تراث أهل البيت عليهم السلام، إذ اختار الباحث بعض خطب السيّدة زينب عليها السلام، وفتّش فيها عن تمظهرات الخطاب القرآنيّ والحديث النبويّ، إذ إنّ أهل البيت عليهم السلام عِدْل القرآن وما فارقوه ولن يحصل ذلك، ولمّا كان هذا الاتّصال بينهما ابتدرنا للكشف عنه في ضوء ما يُسمّى حديثا بـ (التعالق النصّي)، فعرضنا مجموعة من خطب السيّدة في الكوفة والشام، لنطّلع على مسوّغات التعالق، والقدرة الإبداعيّة في التناصّ مع القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف، والأهداف الحجاجيّة التي تكمن في هذا التعالق، والأثر المرجوّ منه.

الكلمات المفتاحيّة:

التعالق النصّيّ، القرآن الكريم، الحديث النبويّ الشريف، خطب السيّدة زينب عليها السلام.

The Textual Interrelationship Between the Holy Quran and the Noble Prophetic Hadith

In the Sermons of Lady Zainab (peace be upon her)

Prof. Dr. Hadi Saadoun Hanoon Al-Aridhi

University of Kufa / College of Basic Education

Abstract:

This research sheds light on a part of the heritage of Ahl al-Bayt (peace be upon them). The researcher has selected certain sermons of Lady Zainab (peace be upon her) and examined them for manifestations of Quranic discourse and the Noble Prophetic Hadith. Since Ahl al-Bayt (peace be upon them) are the equals of the Quran and have never been separated from it, this study aims to explore this connection in light of what is now termed "textual interrelationship."

A selection of Lady Zainab's sermons in Kufa and Sham is presented to investigate the justifications for this interrelationship, the creative capacity in intertextuality with the Holy Quran and the Noble Prophetic Hadith, the argumentative objectives embedded in this interrelationship, and its intended impact.

Keywords:

Textual Interrelationship, Holy Quran, Noble Prophetic Hadith, Sermons of Lady Zainab (peace be upon her).

المقدّمة:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمدُ لله الفَرد الصَّمد الَّذي لَم يَلِد، ولَم يُولد، ولم يَكن لَه كفوا أَحد، الباسط الـرّزق، والواهب العلم، والحلم، والمُهيمن على ذلك كُلّه، والصَّلاة والسَّلام على المبعُوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

أَما بَعدُ ...

تتسارع من حولنا المصطلحات الغربيَّة الوافدة، فنقف عندها بين مؤيّد، ومعارض، ويضع كلّ منَّا أَسبابه، وفي جميع الأَحوال تبقى المصطلحات محَط اهتمَام الباحثين قديمًا وحديثًا، ومصطلح التَّعالق النَّصِّي من المصطلحات النقديَّة التي مرَّت بأطوار التَّرجمة، والتَّقنين في العصر الحديث، وكذلك مصطلح (التَّناص)؛ وهو قائمٌ على نقطة جوهريَّة مفادها عمليَّة التَّأثّر والتَّأثير بين النّصوص النُّخبة، واخترنا دراسته في خطب السَّيدة زينب عليها السلام؛ لأَسباب كثيرة من أَهمّها:

موافقة هذا الموضُوع أهداف المُؤتمر في مواكبة النَّصّ القرآنيّ في ضوء تفسير أَهل البيت عليهم السلام، وعلاقتهم الوطيدة بالقرآن الكريم، والحديث النَّبويّ الشَّريف.

شيُوع تطبيقات هذا المصطلح في أَدقّ تفاصيله في خطَب السَّيّدة زينب عليها السلام للحدّ الذي تُشكّل فيه ظاهرة يمكن رصدها، ومعرفة خفاياها بالبّحث، والتَّدليل.

تجربتنا في دراسة تُراث أَهل البيت عليهم السلام عامَّة، والسَّيدة زينب عليها السلام بصورة خاصَّة، فلنا تجربَة بحثيَّة أكاديميَّة على مستوى التَّأليف في نصوص السَّيدة زينب عليها السلام في أكثر من مؤلّف من بينها: (الحجاج في خطب السَّيدة زينب عليها السلام - دراسة تداوليَّة-) صدر في عام ٢٠١٧م، سبقتها دراستنا الماجستير التي حملت عنوان: (التَّصوير الفنّيّ في خطب المسيرة الحسينيَّة من مكّة إلى المدينة، وتمّ طباعتها من

قبل العتبة العلويَّة المقدّسة عام ٢٠١٢م، فضلا على البحوث العلميَّة المنفردة).

ومن يعمّق النظر في تراث أهل البيت عليهم السلام بشكل عامّ، والسيّدة زينب عليها السلام بشكل خاصّ يجد تعالقًا واضحًا، وتفاعلا منتجا بين هذا التراث، ولهذا التَّعالق أسبابه العلميَّة التي سيتقصّاها هذا البحث في وريقاته القابلة على وفق مطلبين يسبقهما تمهيد يتضمّن الوقوف عند مصطلح التَّعالق النَّصيّ القائم على أساس تفاعل النّصوص المؤثّرة في التَّصوّرات المعرفيَّة للأفراد، فينتج منه نصوص مؤثّرة تستمدّ قوّتها من قوَّة تلك المصادر، وأَثرها في حياة المجتمع، وكلَّما زاد فهم مُنتج النَّص لتلك النّصوص زاد معها قوَّة، وأَثر النّصّ الم، وهذا ما سنتتبّعه في المطلب الأَوّل والثَّاني من البحث المتضمِّن:

* **التَّعالق النَّصّيّ للقرآن الكريم.**
* **التَّعالق النَّصّيّ للحديث النَّبويّ الشَّريف.**

هذا التَّعالق سنتقصّاه في خطبَتَي السَّيِّدة، وعلى الرغم من قلَّة هذا النِّتاج حجمًا (خطبتان فقط) إلّا أنّه يحمل سمة الدِّقة في الاختيار، والسَّلاسة في التَّوظيف، والعمق في المعنى، وهذا ما سيُدلّل عليه البحث ـ بعدها ستأتي خاتمة ونتائج البحث، ومن ثَمّ قائمة المصادر والمراجع داعين من الله التَّوفيق والسَّداد.

التمهيد:

التَّعالق النَّصّيّ مفهومًا ومصطلحًا:

التعالق النَّصِّيّ من المفاهيم النقديَّة القديمة في التُراث العربيّ تتَّضح معالمه الأُولى في المقدّمات الطلليَّة للشعراء، وما ساد بينها من تشابه، وتقارب في البيئة، والظروف المحيطة، وكذلك الموازنات الشّعريَّة التي قادها الآمديّ في نتاج أَبي تمام والبحتريّ[١]، ولا يقتصر الأَمر على الشّعر، فالنَّثر في بدايات الخطب الحفليَّة والسياسيَّة مظهر من مظاهر التَّعالق بين النّصوص الخطابيَّة، وهو أَمرٌ لا غرابة فيه بحكم التَّأثّر والتَّأثير بين النّصوص الأدبيَّة؛ لأنّ «العمل الأدبيّ يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدّة تماما مثل الكائن البشريّ، فهو لا يأتي من فراغ كما أنّه لا يفضي إلى فراغ، إنّه نتاج أدبيّ لغويّ لكلّ ما سبقه من موروث أدبيّ، وهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه»[٢]، والحقُّ أنّ النَّظرة لهذا المفهوم في وعي النّقاد والشّعراء في الموروث العربيّ دخل في حيّز ضيّق تحت مسمّى السَّرقات الأدبيَّة.

ولابدّ من الوقوف ضدّ هذا المضمون؛ لما فيه من إجحاف بحقّ النتاج الفكريّ للأمّة الذي يستند بعضه على بعض، فلا يمكن إنتاج نصّ مؤثّر من دون أن يشكّل ظاهرة واعيَّة في ذهن المتلقّي، فيستند عليها في إيصال فكرته الجديدة، وهذا ما تنبّه إليه نقّاد الأدب العربيّ الحديث الذين تأثّروا بالدرس اللسانيّ الغربيّ الحديث، فاتّخذت دراساتهم مساحة أوسع لهذا المفهوم بعدما أدخلوه ضمن الدراسات التناصيَّة الحديثة التي تجعل منه شيئا لا مناص ولا فكاك للإنسان من شروطه

---

(١) له تجليّات كثيرة في التراث العربّي القديم ومن بينها تسميات: (الاقتباس – السرقات – التضمين – الاحتذاء. التنصيص، الإحالة...).

(٢) ثقافة الأسئلة مقالات في النقد والنظرية: ١١١.

المكانيَّة والزمانيَّة[١]، ويعني وجود نصّ أصلي في مجال الأدب أو النقد على علاقة بنصوص أخرى قد مارس تأثيرًا مباشرًا أو غير مباشر على النصّ الأصليّ في وقت ما[٢]، وشاع هذا المصطلح عند النقّاد العرب في المدّة الأخيرة، بعد أن وفد عن طريق التلاقح المعرفيّ مُستنهضًا النصوص التراثيَّة الأصيلة في تكريسه ورسم حدوده[٣].

فهو في نشأته كمصطلح قارّ حضر في المنجز الغربيّ تحت مسمّى: (التَّناص)، فكانت نشأته الأولى مع الدراسات اللسانيَّة، وظهر جليًّا في كتابات الروسيّ ميخائيل باختين وتلميذته جوليا كرستيفا، إذ استوى عندها المصطلح بأنّه:«التفاعل النصّيّ في نصّ بعينه»[٤]، وأطلقت عليه التناصّ، وهي بذلك تضع مصطلحًا قارّا واضحًا لتعالق النصوص في حالتي التأثّر والتأثير، فتتشكّل تلك النصوص من تركيبة فسيفسائيّة من التفاعلات، وكلّ نصّ هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى[٥].

هذه الرؤية للمصطلح دفعت كثيرًا من الدارسين العرب إلى التأثّر بها، والابتعاد عن فكرة السرقات الأدبيَّة، ومازجتها مع الثقافة العربيّة، فربط الدكتور محمّد مفتاح التناصّ بمصطلح التعالق النصّيّ فقال: «التناصّ هو تعالق – الدخول في علاقة – نصوص مع نصّ حثّ بكيفيات مختلفة»[٦]، وعلى أساس ما تقدّم فإنّ التعالق النَّصّيّ: «نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافيّة السابقة أو

(١) ينظر: تحليل الخطاب الشعريّ – إستراتيجيّة التناصّ: ٧٦.
(٢) ينظر: قاموس مصطلحات النقد العربّي المعاصر: ٧٤.
(٣) ينظر: التصوير الفنّيّ في خطب المسيرة الحسينيَّة من مكّة إلى المدينة: ٢٩– ٣٠.
(٤) التناصّ سبيلا إلى دراسة النصّ الشعريّ: ١٢٨.
(٥) ينظر: التناصّ نظريّا وتطبيقيّا: ١٢.
(٦) تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص: ١٢١.

المعاصرة التي تخترقه بكامله»[١]، وهذا التعالق بين النصوص مهما كان نوعها هو نوع من الترابط الفكريّ والعاطفيّ بين طرفي نتاج العمليَّة الكلاميَّة، فالمتكلِّم لا يتعالق أو يرتبط بنصوص أخرى من دون عمليَّة التأثير الفكريّ أو العاطفيّ المسبق؛ لذلك نقول إنّ عمليّة التعالق النصّيّ تقوم على أساس: «اعتماد نصٍّ من النصوص على غيره من النصوص النثريّة أو الشعريَّة القديمة أو المعاصرة الشفاهيَّة أو الكتابيَّة العربيّة أو الأجنبيَّة ووجود صيغة من الصيغ العلائقيَّة والبنيويَّة والتركيبيَّة والتشكيليَّة والأسلوبيَّة بين النَّصّين»[٢]، وبهذه الطريقة لعرض مفهوم، ومصطلح التعالق نقول في أغلب الأحيان يكون النَّصّ الأوّل هو النّصّ الأعلى قيمة وأكثر تأثيرا من النَّصّ الذي سبقه، يَرفد النصّ المتعالق بقيمة فكريّة وعاطفيَّة مؤثّرة، وهذه النتيجة هي الأولى التي دفعت الشعراء، والخطباء، والكتّاب إلى أن يستعينوا بالنصوص القرآنيَّة المباركة، والأحاديث النبويَّة الشريفة.

ولا شكّ في أنّ الاستعانة، والتوظيف لهذه النصوص ليست بالأمر الهيّن، وتحتاج إلى قدرات عالية من بينها الفهم العميق، والأسلوب الأمثل للتوظيف، والاختيار المتقن للآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة الشريفة، فينسج باختياره لتلك النصوص وفهمه لها، وأسلوب توظيفها، نصّا جديدًا، فلا يفقد النصّ المنتج قيمته الفنّيّة؛ لأنّ «تضمين نصّ أدبيّ ما نصوصًا أو أفكارًا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافيّ لدى الأديب بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النصّ الأصليّ وتندغم فيه ليتشكّل نصٌّ جديد واحد متكامل»[٣]، وهذه القدرات في إنتاج نصّ جديد متكامل

(١) من الأثر الأدبيّ إلى النصّ: ١١٥.

(٢) استراتيجيّة التناصّ في الخطاب الشعريّ الحديث: ٢٦٦.

(٣) التناصّ نظريّا وتطبيقيّا: ١١.

وجدناها في خطبتَي السيّدة زينب عليها السلام التي استطاعت أن تُحدث تعالقا مُنتِجًا، ومؤثِّرًا في المتلقّي ليس في عصرها وحسب، وإنّما استمرّ هذا التأثير بين الأجيال في العصور اللاحقة وهذا ما سنتتبع ملامحه ودلائله في مبحثَي هذه الدراسة.

المبحث الأوّل: التَّعالق النّصّيّ مع القرآن الكريم

الخطاب القرآنيّ في مُجمله خطاب عامّ منفتح، يمتلك صفة الشموليَّة، فلا يُختصر على قوم دون قوم، ولا فئة دون أخرى، فلا يعلو عليه نصّ من النصوص، فهو أكثرها انفتاحًا وعمقًا دلاليًّا وشمولا معرفيًّا، يستوعب كلّ مديات التَّعبير الفنّيّ، وكلّما كان النَّصّ منفتحًا، كان أكثر قبولًا، وتأثيرًا على المتلقّي[١]، وعلى هذا الأساس هو خطاب موجّه إلى البشريّة بكلّ صنوفها، وكذلك هو خطاب يصلح لكلّ زمان ومكان؛ وَلا يَجِد العَقل والإدراك صُعُوبَة فِي تَلَقِّيه وَفَهمه والإِيمَان بِهِ، فَهوَ خِطَاب وِجْدَانِيّ عَقلِيّ فِي آنٍ وَاحِد عَلَى مَرّ العِصُور[٢]، فصوَّر الله سبحانه وتعالى جميع الأشياء الماديَّة وغير الماديَّة بأحسن تصوير؛ لتحقيق الفهم والإدراك في عقول المخاطَبين بما حمله القرآن الكريم من دقّة وبراعة في التصوير الذي يعدُّ «الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يُعبِّر بالصورة المُحسَّة المتخيَّلة عن المعنى الذهنيّ والحالة النفسيّة، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنسانيّ، والطبيعة البشريّة، ثُمّ يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجدّدة»[٣].

(١) ينظر: التَّصوير الفني في خطب المسيرة الحسينيَّة: ٣٠.
(٢) ينظر: الخِطَاب النَّفسي فِي القُرآنِ الكَريم- دِرَاسَة دلاَلَيَّة أسلُوبِيَّة: ١٥.
(٣) التَّصوير الفني في القرآن: ٣٤.

هذه الشموليَّة، والدّقة في التَّصوير القرآنيّ أعطت كثيرًا من المبدعين الفرصة للاطّلاع عليه وفهمه أوّلًا، وتوظيفه في نتاجاتهم المعرفيَّة ثانيًا، فأخذوا «ينهلون منه ويقتبسون ويسعون إلى محاكاة أسلوبه، وكان أثره في النَّثر، سواء من حيث الأسلوب والصياغة أم من حيث الأفكار والمعاني، أو من حيث الصُّور والأخيلة هذا، فضلًا عن اقتباس آيات منه، وتوشيح الخطب بها»[1]، فأنتجوا بذلك نصوصًا إبداعيَّة ذات طبيعَة تأثيريَّة في المخاطبين مهما كان توجّه المتلقّي الدينيّ أو السياسيّ أو الاجتماعيّ.

ولعلَّ موقف السَّيّدة زينب عليها السلام في واقعة كربلاء تؤكّد هذه المقولة في أوسع تمثّلاتها، فهي لم تمتلك سيفًا ماديًّا في ساحة المعركة، ولكنّها حملت عِلْمًا و فهمًا قرآنيًّا معمَّقًا، فتزيّن خطابها الفنّيّ بالآيات القرآنيَّة، فمنحتها بعض سمات التَّصوير القرآنيّ المتمثّلة في انتقاء المفردة الموحية، وتصوير المعاني الذهنيَّة، والاستقصاء في رسم المشهد، فعالقت هذا الفهم مع خطابها الفنّيّ على توظيفين مباشر وغير مباشر وهذا ما سنتتبّعه في متابعة التعالق النصّيّ القرآنيّ في خطاب السيّدة زينب، وعلى وفق الآتي:

أوّلًا: التَّعالق النّصّيّ القرآنيّ المباشر:

يُقصد به توظيف المتكلِّم الواعي للآيات القرآنيَّة المباركة في خطابه الفنّيّ بشكل مباشر من دون زيادة، ولا نقصان؛ لينتج نصًّا إبداعيًّا جديدًا؛ لأنّ النصوص المنتَجة والمتعالقة مع النصوص السابقة تمثّلُ مولودا جديدا «لمخاض نشاط واعٍ خلّاق يضمّ استراتيجيّات معيّنة للحدث واختيار الوسائل المناسبة لتحقيقها؛

(١) الخطابة العربيّة في عصرها الذهبيّ: ٤١.

ونشاط قصديّ دائما ينجزه متكلّم مـا»[١]، وهـذا ما نجده في خطب السَّيّدة زينب عليها السلام، ومن تمثّلاته التَّعالق الحجاجيّ في الشّام الذي عمدت فيه إلى مقدّمة حجاجيَّة قرآنيَّة ردًّا على تصرّفات يزيد بن معاويّة في جلبها أسيرة مع بقيَّة نساء النبيّ (عليه أفضل الصلاة والسلام) قائلة: «صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ يَا يَزِيدُ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٢]، أَظَنَنتَ يَا يَزِيدُ أَنَّهُ حِينَ أُخِذَ عَلِينَا بِأَطرَافِ الأَرْضِ وَأَكنَافِ السَّمَاءِ فَأَصبحنَا نُسَاقُ كَمَا يُسَاقُ الأُسَارَى أَنَّ بِنَا هَوَانًا عَلَى الله، وَبِكَ عَلِيهِ كَرَامَةً...»[٣].

من يُعيد تصوير الحادثة في مقامها الانفعاليّ يجد أنّ يزيد في مقام الشامت أمام جمهور من الحاضرين بما جرى على السَّيّدة زينب عليها السلام في واقعة كربلاء، وهذا الأمر يتطلّب القدرة على اختيار البدايَة، والمقدّمة، ومحاولة استدراج المتلقّين ذهنيًّا لمنطقتها، بعد أن اختارت نصًّا قرآنيًّا حجاجيًا مشتركًا، التعالق في ذهن المتلقّي في قوله تعالى: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ»، وهذه المقدّمات يُشترط فيها أن تكون مشتركة بين المتخاطبين، وإلّا أصبحت غير فاعلة، ولا مؤثّرة في النَّسج الحجاجيّ، فهي بمثابة المسار الموجّه نحو النتيجة، ومنه تكون نقطة الانطلاق الفعّالة في الاستدلال، التي تتمثّل صورها الحجاجيّة في الوقائع، والحقائق، والافتراضات، والقيم، المعاني أو المواضع[٤]، فعمدت في حجاجها وضع مقدّمة يسلِّم بها جميع الحاضرين؛ لإسقاط المخاطب، فكان التَّعالق مع القرآن الكريم فكريًّا، ومعرفيًّا متلازمًا، ومنسجمًا مع الظروف

(١) نحو النصّ – إطار نظريّ ودراسات تطبيقيّة: ١٩٦.
(٢) الروم: ١٠.
(٣) بلاغات النساء: ٣٥.
(٤) ينظر: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيق: ٢٤.

العامّة للخطاب، وهذِهِ الصِفَة لَا نَقُولُها بقَصد الاشـتِرَاك؛ فالمُتكلِّم في النَّصّ المتعالق (القرآن الكريم) هُنَا متكلِّم فَرِيد؛ أي: إنَّ المُطلَق بِوَصفِهِ مُتكلِّمًا لَا يَتَنزّل فِي دَائِرَة النِّسبِي بَل هو يَطلُّ عَلَيهَا فيمَا يُجَوِّز إمكَانِيَّة تَجاوزهَا، وهَذَا مَا يَجعَل كَلَام المُتكلِّم مُطلَقًا مُجَاوِزًا زَمَانه (زمَن الوَحِي)؛ ومتنَوّعًا عِبر العصُور، فَلَا يَجِد العَقل وَالإدرَاك صُعُوبَة فِي تلَقّيه وَفَهمه وَالإيمَان بِهِ؛ ليُخَاطِب العُصُور والأُمم كُلّهَا[1].

ونوعيَّة المخاطَب الذي وقع عليه الذنب والإثم الذي يقع «على روح الإنسان كالمرض الخبيث، فيأكل إيمانه ويعدمه، ويبلغ الأمر حدًّا يكذِّب الإنسان فيه آيات الله، وأبعد من ذلك أيضا إذ يحتمل الذنب صاحبه على الاستهزاء بالأنبياء، والسخرية بآيات الله، ويبلغ مرحلة لا تنفع معها وعظ ونصيحة أبدا»[2]، هذا المعنى الذي حملته الآية القرآنيَّة المتعالقة مع مقام المتكلّم لم يكن مجديًا لولا الفهم العميق لشخصيَّة المخاطِب أوّلا، ومعنى الآيات القرآنيَّة الموظَّفة في الخطاب التي تعطي تفسيرًا موجّهًا، وموافقًا للموقف، «أي إذا أنكرت الإسلام والإيمان هذا اليوم بأشعارك المشوبة بالكفر، وتقول لأسلافك المشركين الذين قُتِلوا على أيدي المسلمين في معركة بـدر: ليتكم تشهدون انتقامي من بني هاشم، فلا مجال للتعجّب»[3]، وبذلك منحت الخطاب القوّة والتأثير في المتلقّي من جهة، ومن جهة أخرى عكست قوّة إيمانها بقضاء الله سبحانه وتعالى عن طريق الرؤية الواضحة لدلالة الآيات القرآنيّة.

ولمّا كانت النصوص الإبداعيَّة تتبارى فيما بينها، على وفق ما تنتجه من تأثير

(١) ينظر: مَقَام المُتكلِّم فِي القُرآن الكَرِيم – دِرَاسَة تَدَاولِيَّة، رِسَالَة دكتوراه: ٢.
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٢/ ٣٥٣.
(٣) المصدر نفسه: ١٢/ ٣٥٣.

في المتلقّي، وهذا الأمر يتوقّف على قدرة منتج النصّ في تشكيل المكوّنات الداخليّة للنصّ وتنظيمها، وانسجامها مع المعارف المحيطة به[١]، فقد عمدتِ السيّدة زينب عليها السلام الإشارة إلى مصدر القول في خطابها الفنّيّ، فتصدر هذا التعالق إشارتها في قولها: (صدق الله ورسوله)، ومن ثَمّ تأتي بالآية القرآنيّة مباشرة من دون زيادة أو نقصان، ولعلّ هذه الإشارة تدخل ضمن رؤية المتكلّم الحجاجيَّة بهدف التأكيد على مشتركات المخاطبين وهو(القرآن الكريم)، ولعلَّ هذه الإشارة تقدِّم للمتكلّم فوائد كثيرة يمكن أن تـأوّل على وفق مقامات المتكلّمين من بينها إثـارة انتباه المخاطبين، وضمان إصغائهم بوساطة الإشارة إلى الأخذ من القرآن، فهي بمثابة جرس إنذار، وانتباه لما سيأتي به الخطيب، ما يولِّد عند المتلقي استعدادًا ذهنيًّا تامًّا، ويمنح السياق الخطابيّ القوَّة في المجادلة أو البرهنة في توثيق ما يذهب إليه المتكلّم[٢].

تكرّر هذا التعالق النصّيّ الواعي والمباشر في موضع آخر في قولها عليها السلام مخاطبة يزيد بن معاوية: «وَقَد أَمهَلتَ وَنَفَّستَ وَهَوَ قَولُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٣]»[٤]، يقصد المتكلّم في حواريّاته استقطاب النصوص المشتركة، والقادرة على جذب المتلقّين وإقناعهم بقضيّته المعروضة للنقاش؛ من أجل «تحقيق التفاعل والتَّكيُّف مع المخاطب من أجل الوصول إلى النتيجة المرجوّة في

(١) ينظر: الحجاج في خطب السيدة زينب عليها السلام – دراسة تداوليَّة: ٢١.
(٢) ينظر: التصوير الفنّيّ في خطب المسيرة الحسينيّة: ٣٠.
(٣) آل عمران: ١٧٨ .
(٤) بلاغات النساء: ٣٥-٣٦، وينظر: الاحتجاج: ٢/ ٣٢-٣٤، ومقتل الخوارزميّ: ٢/ ٧١-٧٤، واللهوف: ٢١٥، ومثير الأحزان: ١٠١، وبحار الأنوار: ٤٥/ ١٣٣-١٣٥، باختلاف بعض الألفاظ.

الخطاب»[١]، وهذا ما عملت على توظيفه السيّدة زينب عليها السلام عندما عمدت لتوظيف القرآن الكريم، وهذا الاختيار لم يكن خاليًا من القصديّة ؛ لأنّه كان نقطة انطلاق مشتركة لا يمكن التشكيك بها أو إنكارها، فهي مقبولة، ومسلَّم بها من لدن المتلقّين[٢].

وسورة (آل عمران) في كتب التَّفسير من السور، التي تتّسم بالموازنة بين اتّجاهين متضادّين، هما: الإيمان والكفر، وجزاء كلّ منهما يوم الميعاد[٣]، وهذا ما يمكن أن يعزِّز حجّتها، ويدعم خطابها، ويمنحه القوّة والتَّأثير في المخاطَبين، فالإملاء، «طول العمر ورغد العيش، والمعنى: لا يحسبنّ هؤلاء الذين يخوّفون المسلمين، فإنّ الله قادر على إهلاكهم، وإنّما يطوّل أعمارهم، ليعملوا بالمعاصي ؛ لا لأنّه خير لهم»[٤]، والاستعانة بهذه الصورة التعالقيّة ترجّح كفّتها في الخطاب بنفيها حالة النشوة التي يعيشها يزيد بعد قتله حفيد النبيّ عليه أفضل الصلاة والسلام بأنّه إملاء مؤقّت، وهو وعد الله الذي لا يخلف وعده، وبذلك حمل التعالق النصّيّ المباشر غرضًا توبيخيًّا، وإنكارًا حجاجيًّا لما تقدّم به يزيد من خطاب.

وحضر التعالق النصّيّ القرآنيّ المباشر في مواضع أخرى تحمل في طبيعتها الحجاجيَّة أغراضًا متشابهةً تقوم على أساس التوبيخ والإنكار، وهما غرضان متلازمان في توظيفها للآيات القرآنيّة، فبعد أن أنكرت عليه العاقبة الحسنة، وأثبتت العاقبة السيّئة بطريقة التعالق النصّيّ المباشر في المرّة الأولى، تحوّلت إلى إنكار الفرح، وإثبات زمانيته المحدودة، تحوّلت إلى تعالق جديد يخدم الغرض نفسه بعدما

(١) المقدّمات والسلالم الحجاجيَّة في خطب السيّدة الزهراء عليها السلام – دراسة تداوليَّة: ٣٣.
(٢) ينظر: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان: ٤١.
(٣) ينظر: سورة آل عمران: الآيات: ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ٢١، ٢٢، ٢٤، وآيات أخرى.
(٤) تفسير القرطبيّ: ٤/ ١٨٣.

تعرّضت لحقيقة قرآنيّة تجسّدت في تصويرها (الأمـوات الأحياء) و (الأحياء الأموات) بقولهاعليها السلام: «وَسَـتُرَّدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلِيهِ [وَآلِهِ وَسَلَّمَ] بِرَغمِكَ وَعِتْرَتَهُ وَلُحْمَتَهُ فِي حَظِيرَةِ القُدسِ، يَومَ يَجمَعُ اللهُ شَملَهُم مَلمُومِينَ مِنَ الشُعثِ، وَهَوَ قَولُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١]»[٢]، فهذه الصورة عمّقتها بالخطاب القرآنّي، لإحداث التعالق بين الحادثة والغرض، فهي «لا تريد إفهام يزيد، وتذكيره بعدم جدوى الحياة الدُنيا، وأنّها لا محالة زائلة وحسب، بل استثمار التصوير القرآنيّ ونسجه على وفق متطلّبات الحدث في خطابها الأدبيّ لإعطاء صورة متكاملة على وفق تعالق النصّين تدلّ وتشير بأنّ الحسين وأهل بيتهعليهم السلام وأصحابه، وإن قُتِلوا ظُلما؛ إلّا أنّهم أحياء يرزقون المحبّة في ضمائر الناس، وأنت يا يزيد وإن كنت حيّا إلّا أنّك معدوم الحياء والحياة من الله ورسوله»[٣].

ويسير هذا التعالق النصّيّ المباشر في خطبة الكوفة أيضًا، فبعد أن بدأت بالتحميد، والتسبيح، والسلام، ثُمّ القول مخاطبة أهل الكوفة في حينها: «لَقَدْ خَابَ السَعيُ، وَخَسِرَتِ الصَفقَةُ، وَبُؤتُم بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وَضُرِبَتْ عَلِيكُم الذَلَّةُ وَالمَسكَنَةُ، ﴿لقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[٤]، أَتَدرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللهِ فَرِيتُم؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبرَزتُم؟ وَأَيَّ دَمٍ لَهُ

(١) آل عمران: ١٦٩ .

(٢) بلاغات النساء: ٣٥-٣٦، وينظر: مقتل الخوارزمي: ٢/ ٧١-٧٤، الاحتجاج: ٢/ ٣٢-٣٤، اللهوف: ٢١٥، مثير الأحزان: ١٠١، بحار الأنوار: ٤٥/ ١٣٣-١٣٥، باختلاف بعض الألفاظ.

(٣) التصوير الفنّيّ في خطب المسيرة الحسينيَّة: ٣٣.

(٤) مريم: ٨٩-٩٠ .

سَفَكتُم ؟»[١]، فإنّ التعالق ههنا فيه تصوير مخيف لمن يعتقد بأنّ (المسيح) و (عزير) أولاد الله[٢]، فحقّق هذا الانتقاء تعالقا نفسيّا، وفكريًّا بين ما حدث في كربلاء، وما اقترفته الأيادي من ذنب كبير، وبين ما تريد التعبير عنه السيّدة زينب عليها السلام، فأنتجت نصًّا معرفيًّا مؤثّرا تعالق مع «الطاقات التصويريّة للآيات القرآنيّة، وتوظيفها لتصوير دقائق الأمور التي ترسم فداحة الحدث في قلوب السامعين بالتوظيف الأمثل لآيات القرآن الكريم في المواضع الملائمة للموقف في النصّ الذي تتفطّر منه السماوات وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا»[٣]، وهذا الاستدعاء للتصوير القرآنّي يحمل همًّا مشتركا، ووقعًا نفسيّا، وظّفته السيّدة زينب عليها السلام في تعميق المعنى وتعزيزه في ذهن المتلقّي.

ثانيًا: التَّعالق النّصّيّ القرآنيّ غير المباشر

ونقصد به توظيف المتكلّم الواعي للآيات القرآنيَّة المباركة في خطابه الفنّيّ بشكل غير مباشر بزيادة بعض الكلمات أو نقصانها؛ لينتج نصًّا إبداعيًّا جديدًا. أو هو ما وظَّفه المُتكلّم من الآيات، من دون أن يلتزم بلفظها وتركيبها[٤]، فهو لا يلتزم باللفظ النَّصّيّ للآية، وإنّما يكتفي بتوظيف تلك الآيات القرآنيّة أو الإشارة إلى المعنى أو الحدث، الذي ورد في النصّ القرآنيّ بما فيه من دلالات إيحائيّة يرمي إليها في التصوير[٥].

---

(١) بلاغات النساء:٣٧-٣٩، وينظر: الفتوح: ٥/ ٢٢٣-٢٢٥، الاحتجاج: ٢/ ٢٦-٢٧، مقتل الخوارزمي: ٢/ ٤٦-٤٧، اللهوف: ١٩٢، مثير الأحزان: ٨٦، بحار الأنوار: ٤٥/ ١٦٢.

(٢) ينظر: الأمثل: ٩/ ٣٦٠.

(٣) ينظر: التصوير الفنّيّ في خطب المسيرة الحسينيّة: ٣٥.

(٤) ينظر: معجم آيات الاقتباس: ١٩.

(٥) ينظر: المضامين الدينيّة والتراثيّة في الشعر الأندلسّي، رسالة ماجستير: ٣٩.

ويبدو لنا أنّ مثل هذا التعالق النصّيّ بين النصوص يحتاج إلى قدرات واعية أكثر ممّا عليه في النوع الأوّل، وكذلك يحتاج إلى تشرّب معرفيّ كبير بين المؤثّر والمتأثّر، وهذا ما نجده في خطب السيّدة زينب عليها السلام، إذ نجد التعالق النَّصّيّ منسجمًا ومتناغمًا مع خطابها الفنّيّ، فلا يُحدث فجوة في المعنى، ولا يُحدث خللا في الفكرة، وهذا النوع من التعالق النَّصّيّ غير المباشر نجده واضحا في خطبة الكوفة، فبعد أن بدأت خطابها بالتَّحميد، والتَّسبيح، والسَّلام على جدّها النبيّ (عليه أفضل الصلاة والسَّلام) ثُمّ قولها: «يَا أَهْلَ الكُوفَة، يَا أَهْلَ الخَتلِ وَالغدر، أتبكون؟ ألا فَلاَ رُقِأَتْ العبرةُ وَلاَ هَدَأَتِ الرَنَّةُ، إِنَّمَا مَثَلُكُم كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزلَهَا بَعْدَ قُوَّةٍ أَنكَاثًا، تَتَّخِذون أيمَانَكُم دَخلًا بِينكُم، أَلا وَهَل فِيكُم إِلا الصَّلِفُ والشَّنِفُ؟ وَمُلقَ الإِمَاءِ وَغَمزَ الأَعدَاءِ»[1].

فمن يعود تأريخيًّا لجذور التعالق في النصّ الخطابيّ للسيّدة زينب عليها السلام يجد أنّ الخطاب القرآنيّ وظَّف المثَل المستوحى من حياة العرب، وعاداتهم، وتقاليدهم في خطابه مع الناس؛ ليؤثّر بهم معرفيًّا، بما يمتلكونه من أفكار وأحداث عالقة في حياتهم اليوميَّة، ومن بين تلك الأحداث الأمثال التي شكَّلت رموزا ودلالات راسخة في أذهانهم، ومن بين ذلك المثل القائل «أخرق من ناكثة غزلها»[2]، والناكثة غزلها امرأة من قريش تدعى: أُم ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرّة [3]، وهي التي تمثَّل بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾[4]، فجاءت السَّيّدة زينب عليها السلام لتعالق

(١) بلاغات النساء:٣٨، والاحتجاج: ٢ / ٢٧.
(٢) مجمع الأمثال، النيسابوري: ١/ ٤٥٠.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٥٠.
(٤) النحل: ٩٢.

هذا النصّ القرآنيّ بسياقه الجديد؛ لتعزّز فكرتها القائمة على أساس توبيخ القوم على فعلتهم، فجعلت «من البنية القرآنيّة داعمًا لحجاجها القائم على أساس توبيخ هؤلاء القوم بأنّ ما فعلوه لا يختلف عن مسارات هذا المثل، في صوره ودلالته، فبعثت إشارة تداوليّة واضحة القصد، أنّكم بما قدمتموه من طاعة وإرسال كتب البيعة، وتحديد مسار وجهتكم الصحيحة، قد نكثتموه بفعلتكم، في المشاركة في جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه رضوان الله عليهم»[١]، فمنح التعالق النصّيّ في قولها: «إِنَّمَا مَثَلُكُم كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزلَهَا بَعْدَ قُوَّةٍ أَنكَاثًا، تَتَّخِذون أيمانكم دخلا بينكم، ألا وهل فيكم إلّا الصَّلف والشنف»، بصورته غير المباشرة الخطابَ عمقًا في المعنى، وتعزيزا للحجّة، والتأكيد في الذهن، والتأثير في المتلقّي، والإيجاز في اللفظ، وتعميق صورة التوبيخ وتوضيح أسبابها عند المتلقّي.

وخطابها في الكوفة يتّسم بطابع العموم على خلاف خطاب الشام الذي يتّسم بالخصوص، فتوجّه في خصوصيّته بصورة مباشرة إلى يزيد في جميع مفاصله التعالقيَّة للخطاب القرآنيّ، وحتّى الخطاب النبويّ الشريف، فقد وضعته المسبب الأوّل لهذه الحادثة الأليمة؛ لذلك التوبيخ، والاحتقار لا يفارقه في بنيتها الخطابيّة الحجاجيَّة، فتقول له في موضعٍ آخر من التعالق النَّصّيّ غير المباشر: «فَلَئِنِ اتَّخذتَنَا مَغنَمًا لَتتخِذَنَّ مَغرَمَا حِينَ لاَ تَجِدِ إِلَّا مَا قَدَّمتْ يَدَاكَ»[٢]، فأجرت نوعًا من التحوير في تعالقها النَّصّيّ غير المباشر من القرآن الكريم بعد أن وظّفت دلالة قوله تعالى في سورة النبأ: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[٣]؛ ليتناسب مع حجّتها الموجّهة إلى يزيد، فوظَّفت الدَّلالة القرآنيَّة

(١) الحجاج في خطب السيدة زينب عليها السلام – دراسة تداولية: ٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦.

(٣) النبأ: ٤٠

لـ «عقاب المجرمين الذين يتوهّمون أنّه يوم بعيد أو نسيئة، يقول القرآن إنّ عقاب المجرمين لواقع ويوم القيامة لقريب»[١]، وهذا ما ينطبق على أفعال يزيد من خلال الوصف الدقيق للحالة المزرية التي يعيشها، و مُنِحَ الخطاب التَّحول من العام (في الخطاب القرآنيّ) إلى الخاصّ (في خطاب السيّدة زينبعليها السلام) بقولها: (يداك)، وهذا التَّحوّل عمَّق التعالق الذهنيّ مع سياق النصّ الخطابيّ[٢].

ومن مصاديق التَّعالق النصّيّ غير المباشر بسمته العامّة في خطاب السيّدة زينبعليها السلام قولها مخاطبة أهل الكوفة: «أَلاَ سَاءَ مَا قَدَّمَت أَنفُسُكُم أَنْ سَخَطَ اللهُ عَلِيكُم وَفِي العَذَابِ أَنْتُم خَالِدُون»[٣]، وهنا يتوجّه الخطاب بصفته العامّة لجميع أهل الكوفة في حينها على خلاف خطابها في الشام، فعالقت بين حالتهم، والحالة التي وُصِف بها أمثالهم في الخطاب القرآنيّ بقوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[٤]، وهو تصوّر واضح لما يؤول إليه «المصير المشؤوم الذي انتهى إليه الكافرون السابقون، لكي يعتبر أهل الكتاب فلا يتّبعونهم اتّباعا أعمى»[٥]، وهذا التعالق غير المباشر أو ما يمكن أن نطلق عليه (التحويريّ) قدّم عمقًا وإثباتًا للفكرة التي عرضها المتكلّم، فهي «عين ما فعله أهل الكوفة لذا سينتظرهم المصير ذاته، فأسهم استحضار الآية القرآنيّة في تكريس صورة الخضوع عند أعداء الله وتولّيهم الكافرين، في تحوير خاصّيّة الخطاب من الشمول إلى الخصوص، ليتناسب مع سياق

(١) الأمثل: ١٩/ ٢٦١.
(٢) ينظر: التصوير الفنّيّ في خطب المسيرة الحسينيّة: ٣٨- ٣٩.
(٣) بلاغات النساء: ٣٨.
(٤) المائدة: ٨٠.
(٥) الأمثل: ٤/ ٨٢.

الخطبة، ويعزّز الصورة في ذهن المتلقّي»[١].

نستنتج ممّا تقدّم أنّ السيّدة زينب عليها السلام أكسبت نصّها الخطابيّ بعدا دالًّا، وإثباتًا معمّقًا، بما حقّقته من تعالق نصّيّ منسجم مع الخطاب القرآنيّ، بنوعيه؛ المباشر وغير المباشر، فأعطت لخطبتها الديمومة والثبات في الاستدلال عبر مراحل التأريخ القديم والمعاصر، وهذا الأمر لا يتّأتى من دون وعي وهضم لتلك الآيات القرآنيّة، وما تحويه من دلالات عميقة.

المبحث الثاني: التَّعالق النّصّيّ مع الحديث النبويّ الشريف

التَّعالق النَّصّيّ مع الحديث النَّبويّ الشَّريف لم يَرد بصيغته المباشرة في خطب السَّيدة زينب عليها السلام؛ وإنَّما ورد بصيغته غير المباشرة، وبشكلٍ متماسك ومتناغم مع الحديث النبويّ الشريف، ولا يصعُب على المتلقّي تحديد علَّة هذا التماسك، خصوصًا من اطّلع على تراث أهل البيت عليهم السلام، وعرف حجم العلاقة بين النبيّ (عليه أفضل الصلاة والسلام)، وحفيدته السيّدة زينب عليها السلام، فهي كما وصفها الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام بأنّها عالمة غير معلَّمة، وفاهمة غير مفهَّمة، فالحديث الشَّريف محطّ اهتمام المخاطَبين على مرّ العصور؛ لما ينماز به من بيان، ودقّة تعبير، وجودة سبك، فلم «يسمع الناس بكلام قطّ أعمّ نفعا، ولا أقصر لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجل مذهبا ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوًى، من كلامه صلّى الله عليه وسلّم كثيرا»[٢].

المتكلِّم في طبيعته يبحث عن تقوية خطابه الفنِّيّ، فينسج نصَّه بما يمتلكه من مقوّمَات اللّغة، فيُسخّر موروثه الثَّقافيّ؛ لينتج نصًّا مؤثّرًا جديدًا، وقوّة هذا النِّتاج

(١) التصوير الفنّيّ في خطب المسيرة الحسينيّة: ٤٣.
(٢) البيان والتبيين: ٢/ ١٧-١٨.

تعتمد على قدرة المتكلّم في ذلك النَّسج، ودقّة توظيفه للحديث النَّبويّ الشَّريف، ومن يعود لقراءة خطاب السَّيدة زينب عليها السلام، وهي تخاطب يزيد قائلة: «أَمِنَ العَدلِ يَابنَ الطُّلَقَاءِ تَخدِيرُكَ نِسَاءَكَ وَإِمَاءَكَ وسَوْقُكَ بِنَاتِ رَسُولِ اللهِ»[١]، يجد أنهَّا نسجت بين أسلوبها اللّغويّ الموجز (الاستفهام الإنكاريّ)، و قول النَّبيّ (عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام): (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، المقترن بالحادثة التأريخيَّة المتجسِّدة بقول الرسول (عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام) لأبي سفيان الَّذي كان يقود جبهة الكفر ضدّ الرَّسول (عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام) في مكّة، ولم يُسلِم حتّى عندما دخل رسول الله فاتحًا مكّة، فأوقفهم، وقال لهم: ما ترون أنّي فاعل فيكم ؟ قالوا: خيرا، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[٢].

هذا التَّعالق النَّصّيّ أنتج لنا خطابًا فنيًّا مؤثّرًا عبر التأريخ بتقنيّة تعالقيَّة عالية بعدما رسم لنا رؤية جديدة تقوم على أَساس إظهار صورة الحقد المتوارث في شخصيّة يزيد، فمنحت الخطاب قوّة التَّأثير، وحملت ذهن المخاطب إلى الدّلالة التأريخيَّة، وكانت هذه التقنيّة وسيلة لتعميق المعنى، وإثارته في نفس المتلقّي.

ممّا لا شكَّ فيه أنّ المتكلّم في مرحلة إنتاج النَّصّ يستنفر جميع تصوّراته السّابقة، والعالقة في مكنوناته المعرفيَّة؛ لأنّ الفكر الإنسانيّ بطبيعته «فكر متواليات، بمعنى أنّه متكون من سلسلة متواليَّة من الأفكار والمعارف، تلك الأفكار والمعارف ليست وليدة (الآن) إِنَّما هي وليدة لحظات متعدّدة ومتنوّعة من القراءة، والتطلّع في النشاط الغيريّ على الأصعدة كافّة»[٣]، والسيّدة زينب عليها السلام عاشت في كنف جدّها

(١) بلاغات النساء: ٣٥، وينظر: مقتل الخوارزميّ: ٢/ ٧٢، الاحتجاج: ٢/ ٣٣.

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام: ٤/ ٣٤.

(٣) مملكة النّص التخليل السيميائي للنقد البلاغي-الجرجاني أنموذجا -: ١٢٣.

النَّبيّ فتشرَّبت معرفتها بشخصيَّته، وسيرته، وأحاديثه، فأنتجت لنا نتاجًا معرفيًّا متعالقًا مع الحديث النبويّ الشَّريف في خطابها مع أهل الكوفة قائلةعليها السلام: «ألا وهل فيكم إلّا الصَّلفُ والشنف، وَمُلقَ الإِمَاءِ وَغَمزَ الأَعدَاءِ وهل أنتم الا كَمرعَى عَلى دِمْنَةٍ، أَو كَفِضَّةٍ عَلى مَلحُودَةٍ»[1].

فوظَّفتعليها السلام الحديث النبويّ الشريف: «كمرعى على دمنة»[2]، وهو تعالق نصّيّ غير مباشر للحديث النبويّ الشريف «إياكم وخضراء الدمن»، قيل: يا رسول الله ومن خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في منبت السوء»[3]، وفيه تصوير لما عليه هؤلاء القوم من البهرجة بمظهر الجمال، ولكنّ الباطن قبيح، فربطت وعالقت بين الصورتين؛ سعيًا منها في إكساب خطابها الفنِّيّ دعمًا معنويًّا ولفظيًّا بتقويَّة الحجَّة، وإقامة الدَّليل من جهة، ومن جهة أخرى توشيحها بخصائص التَّصوير النَّبويّ في الإيجاز والاستيفاء، بتضمينها الألفاظ والمعاني والصور التي تحمل طابع الرسالة الإلهيّة عبر تمثّلاتها العالميَّة.

(١) بلاغات النساء: ٣٨، وينظر: مقتل الخوارزميّ: ٢/ ٧٢، الاحتجاج: ٢/ ٣٢.

(٢) الدمنة: أصل الدمن ما تدمنه الإبل والغنم من أبعارها، وأبوالها، فربما نبت فيها النبات الحسن وأصله في دمنة، فمنظرها حسن أنيق ومنبتها فاسدة. ينظر: غريب الحديث، ابن سلام الهرويّ: ٢/ ٤٢٤.

(٣) الكافي: ٥/ ٣٣٢، وينظر: غريب الحديث، ابن الجوزيّ: ١/ ٣٤٩.

الخاتمة والنتائج

الحمدُ لله على نعَمِهِ الَّتي لا تُعَدّ، ولا تُحصى، وأَوّلُها نعمةُ محبَّة أَهل بيت النَّبيّ (عليهم أَفضل الصَّلاة وأَتمّ التَّسليم)، بعد هذه القراءة والتَّحليل لموضُوع بحثنا: التَّعالق النَّصّيّ للقرآن الكريم والحديث النَّبويّ الشَّريف في خطب السيَّدة زينب عليها السلام كانت النتائج الآتية:

١- تبقى البحوث العلميَّة تصوّرات ذهنيَّة يُعمّقها التَّدليل المنطقيّ من بقيَّة المصَادر المعرفيَّة في أَكثر الأحيان، إلّا أَنّ البَحث الَّذي بين أَيدينا مُعمَّق بالواقع النَّصّيّ المؤشَّر بالدليل المتعالق مع القُرآن الكريم، والحديث النَّبويّ الشَّريف، فهو لا يحتاج إلى عودة للإثبات بوجود حقيقة ما في دواخله، وخوارجه، فشكَّل بذلك قطعة بحثيَّة مستمدَّة من الوقائع التي كانت تعيشها السَّيّدة زينب عليها السلام من دون خيال، ولا تأويل.

٢- السيّدة زينب عليها السلام أكسبت نصّها الخطابيّ بُعدًا دالًّا، وإثباتًا معمّقًا، بما حقّقته من تعالق نصّيّ مُنسجم مع الخطاب القرآنيّ، وبنوعيه المباشر، وغير المباشر، فأعطت لخطبتها الديمُومة، والثَّبات في الاستدلال عبر مراحل التأريخ القديم، والمعاصر، وهذا الأمر لا يتأتّى من دون وعي وهضم لتلك الآيات القرآنيَّة، وما تحويه من دلالات عميقة.

٣- ما وجدناه في خطب السيّدة زينب عليها السلام يدفعنا لحثِّ الباحثين في تُراث أهل البيت عليهم السلام إلى إفراد دراسة مستقلّة بهذا العنوان يشمل تراث المسيرة الحسينيّة؛ لغزارة التَّعالق النَّصّيّ في خطبهم مع القرآن الكريم، والحديث النَّبويّ الشَّريف.

٤- أثبتت الاستدلالات البحثيّة العلاقة الوطيدة بين السيّدة زينب عليها السلام،

وبين القُرآن الكريم، والحديث النَّبويّ، علاقة قائمة على أَساس الفَهم، والتَّدليل، والتَّماسك، والتَّناسق، والتَّناغم، فتستمدّ قوّتها بين مفهومي: (النصّ المقدَّس)، والمتمثّل في القرآن الكريم، والحديث النَّبويّ الشَّريف، و (الفَهم المقدَّس)، والمتمثّل في تُراث أَهل البيت عليهم السلام، وقدرتهم على التَّفاعل مع هذا النَّصّ، وتدبّره، وفهم معانيه، وإعادة نشرها بين النَّاس، فهي إعادة عمليَّة تفسير، وتوضيح، وتطبيق للنَّصّ القرآنيّ، وتحريك لمفاهيمه في الواقع الإنسانيّ، وانطلاقًا من ذلك الفهم للتجسيد الروحيّ والفكريّ والعمليّ لكلّ آيات القرآن ومعانيها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ (ت٦٢٠هـ)، تعليقات، محمّد باقر الموسويّ الخرسانيّ، منشورات ذوي القربى، الظهور، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، للعلّامة الشيخ محمّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤. بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت٢٨٠هـ)، دار النهضة الحديثة، بيروت – لبنان، ١٩٧٢م.

٥. تحليل الخطاب الشعري – إستراتيجيّة التناصّ، محمّد مفتاح، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥م.

٦. التصوير الفنّيّ في خطب المسيرة الحسينيَّة من مكّة إلى المدينة، د. هادي سعدون هنون، مكتبة الروضة الحيدرية، العراق – النجف الاشرف، ط١، ٢٠١١م.

٧. التصوير الفنّيّ في القرآن، سيّد قطب، دار المعارف، ط٣، (د.ت).

٨. تفسير القرطبيّ، القرطبيّ (ت٦٧١هـ)، تحقيق: مصطفى البدري، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٩. التناصّ نظريّا وتطبيقيّا، أحمد الزعبيّ، مؤسّسة عمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط٢.

١٠. ثقافة الأسئلة: مقالات في النقد والنظريّة، د. عبد الله محمّد الغذاميّ، النادي الأدبيّ الثقافيّ، جدّة، ط٢، ١٩٩٢م.

١١. الحجاج في خطب السيّدة زينب عليها السلام – دراسة تداوليَّة، د. هادي سعدون هنون، دار تمّوز للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٧م.

١٢. الخِطَاب النَّفسِي فِي القُرآنِ الكَريم– درَاسَة دلَاليَّة أسلُوبِيَّة، د. كَرِيم حُسَين نَاصِح الخَالِدِيّ، دَار صَفَاء لِلنَشِر وَالتَّوزِيع، عَمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.

١٣. الخطابة العربيّة في عصرها الذهبيّ، إحسان النص، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.

١٤. غريب الحديث، ابن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ)، علّق عليه: د. عبد المعطي أمين قلعجي، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م.

١٥. في نظريّة الحجاج دراسات وتطبيق، د. عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م.

١٦. قاموس مصطلحات النقد العربي المعاصر، سمير حجازي، دار الآفاق العربية، ط١، (د.ت).

١٧. الكافي، الكلينيّ (ت٣٢٩هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط٤، ١٣٧٥هـ.

١٨. اللهوف (الملهوف) على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، دار الأسوة، قم، (د.ت).

١٩. مثير الأحزان: نجم الدين جعفر بن هبة الله بن نما الحلي (ت٨٤١هـ)، نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، (د.ت).

٢٠. معجم آيات الاقتباس، حكمت فرج البدريّ، دار الحرّيّة، ١٩٨٠م.

٢١. مقتل الحُسين عليه السلام: أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد أخطب خوارزم (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد السماويّ، منشورات أنوار الهدى، قم، ط٣، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٢٢. المقدّمات والسلالم الحجاجيَّة في خطب السيّدة الزهراء عليها السلام - دراسة تداوليَّة، د. هادي سعدون هنون، مؤسسة دار الصادق الثقافيَّة - الحلة - العراق، ط١، ٢٠٢٣م.

٢٣. مملكة النّص: التخليل السيميائيّ للنقد البلاغيّ- الجرجاني نموذجا -، د. محمّد سالم سعد الله، عالم الكتب الحديثة، عمّان- الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٤. نحو النصّ - إطار نظريّ ودراسات تطبيقيّة، عثمان أبو زنيد، عالم الكتب الحديث، أربد، ط١، ٢٠١٠م.

٢٥. نظريّة الحجاج عند شاييم بيرلمان، د. الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس - ليبيا، ط١، ٢٠١٤م.

البحوث العلميّة:

٢٦. استراتيجيّة التناصّ في الخطاب الشعريّ الحديث، محمود جابر عباس، مجلّة علامات في النقد، ج ٤٦، مجلد ١٢، نادي جدة الأدبيّ، ١٤٢٣هـ.

٢٧. التناصّ سبيلا إلى دراسة النصّ الشعريّ، شربل داغر، مجلّة فصول، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، المجلّد ١٦، العدد الأوّل، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢٨. من الأثر الأدبيّ إلى النصّ، بارت، تحقيق: عبد السلام بن عبد العالي، مجلّة الفكر العربيّ المعاصر، العدد ٢٨، آذار، بيروت، ١٩٨٩م.

الرسائل الجامعيّة:

٢٩. المضامين الدينيّة والتراثيّة في الشعر الأندلسيّ، فائزة رضا شاهين، رسالة

ماجستير، كليّة التربيّة، جامعة تكريت، ٢٠٠٤.

٣٠. مَقَام المُتكلِّم فِي القُرآن الكَرِيم – دِرَاسَة تَدَاولِيَّة –، هَادي سَعدُون هَنُون العَارضِي، رِسَالَة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم اللغة العربيَّة، ٢٠٢٠م.